شعر حسين علي محمد (١٩٧٧ - ٢٠٠٠م) دراسة فنية

تقدم هذه الرسالة نموذجا شعريا معاصرا يجهله كثيرون، عن أحد الأصوات الشعرية المعاصرة في محافظة الشرقية بمصر.

وهي تقع فيما يقرب من (٧٦٠) سبعمئة وستين صفحة، وتنقسم إلى تمهيد، وبابين وتوصيف إحصائي. وقد اتبع فيها الباحث المنهج التكاملي الذي يوظف المناهج النقدية الأخرى مجتمعة للبحث والتحليل: مثل المنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج التحليلي الموضوعي ثم المنهج الفني.

رسالة ماجستير للباحث

السيد مختار جاب الله الحسيني القهوجي

فى التمهيد يقدم الباحث تعريفا شافيا بالشاعر في نشأته الأولى، وأثر والده في ذلك إذ كان يلبي كل احتياجاته التي تختص بالقراءة حتى إنه اشترى له (سيرة النبي ﷺ) لابن هشام و(صحيح مسلم)، و(تجريد الأغاني) لابن واصل الحموي وهو في المرحلة الإعدادية. بالإضافة إلى نحو خمسمئة كتاب من سلاسل وزارة الثقافة. الأمر الذي ساعده على نشر مقالاته وهو في الصف الأول الثانوي. وتواصلت المسيرة في الجامعة في قسم اللغة العربية بآداب القاهرة فتأثر بالأساتذة الدكاترة: شوقي ضيف، ورشاد رشدي، وحسين نصار، وعبد المحسن طه بدر، وعبد المنعم تليمة، ونعمان القاضي.

ثم عمل بالتعليم العام بعد حصوله على الليسانس، ثم تقدم للماجستير فحصل عليها في المسرح الشعري عند عدنان مردم. كما حصل على الدكتوراه في الأدب المعاصر سنة ١٩٩٠م.

وكان أول مقال في حياته نشر في مجلة «الرسالة» عام ١٩٦٤م بعنوان «أفريقيا في شعر هاشم الرفاعي».

فرج عبد الوهاب – مصر

وصدر له عشر مجموعات شعرية في مرحلة الدراسة، هي: «السقوط في الليل» ١٩٧٧م، و«شجرة الحلم» ١٩٨٠م، و«أوراق من عام الرمادة » (١٩٨٠م)، و«رباعيات» ١٩٨٢م، و«الحلم والأسوار » ١٩٨٤م، و «الرحيل على جواد النار» ١٩٨٥م، و«حدائق الصوت» ١٩٩٣م، و«غناء الأشياء» ١٩٩٧م، و«النائي ينفجر بوحاً» ٢٠٠٠م. كما قدم العديد من المسرحيات الشعرية، ومنها: «الرجل الذي قال»، و«الباحث عن

النور»، و«الفتى مهران ٩٩». و «بيت الأشباح». و«سهرة مع عنترة». و«الزلزال».

وله «مذكرات فيل مغرور»، وهي شعر قصصي للأطفال في إصدارات رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

هذا بالإضافة إلى عشرات الدراسات النقدية والكتب الإبداعية الأخرى..

في الباب الأول يتناول الباحث «شعر حسين علي محمد.. الموقف الفكري» فنجد الفصل الأول بعنوان الرؤى الموضوعية العامة قراءة وتحليل ونقد، فقد كان للشاعر رؤى فكرية منوعة تجاه قضايا حياتية خاصة وعامة تشكلت بفاعلية ونضج في إبداعه الشعري فكان يرى المرأة من منظور عاطفي خالص، بعيدا عن التعقيدات الفكرية المتشابكة، فجاءت المرأة في شعره انسيابية / براقة / من الوجهة العاطفية.

كذلك استثمر غرض المدح ليدعم الصلات النفسية بينه وبين الأصدقاء والأسرة والرموز القيمة التي أثرت في حياته.

أما الرثاء فكان وسيلته الفاعلة للتعبير عن انكسار الذات والبحث عن المفقودات، فكان ينتقل دائما من العام الى الخاص، وكانت انطلاقته الأكثر فاعلية عندما عبر عن اغترابه داخل الوطن وخارجه مدعما رؤاه الاغترابية بمنظومة حاكية تامة النضج طرفاها (الموت والحنين).

أما رؤاه الإسلامية فاستحدث فاعليتها من تفعيل بعض الرموز الإسلامية الخالدة وإعطائها أدواراً معاصرة للذود عن هموم المسلم المعاصر.

ويتناول البحث الرؤى الموضوعية للمضامين التقليدية من الغزل والمدح وقضايا الرثاء وصنوف الاغتراب، ثم الرؤية الوطنية، ومنظومة الوطن من حيث المفهوم العام والقيمة، والرموز، والثورة، وقضايا

د. حسين علي محمد

وأحداث خالدة.

أما الفصل الثاني: «من قضايا الذات الشاعرة» وهو قراءة نقدية في المؤثرات والمضامين، وفيه يتناول أربع فرضيات بحثية – شكلت قضايا فكرية ومواقف عقلية أصيلة في الموقف الفكري لدى الشاعر:

أولها:العوامل النفسية الضاغطة التي شكلت تجربته النفسية المغلقة.

ثانيها: يتناول الحلم الذي صنعه شاعرنا شعرا تميز بالفردية حينا وبالجمعية حينا آخر، ومع الآخر في موضع ثالث.

ثالثها:: مواجهات متأزمة بين الذات الشاعرة والآخر، وهي مواجهات ذات طابع تصادمي يرصد البحث مبررات تداعياته، وماهية الصدام، وكيف ينعكس على الموقف الفكري.

رابعها: الرؤى النقدية المتفاوتة من حيث الأهمية لشاعرنا، وهي ثلاث فئات: نقد الشاعر لذاته، ونقد الشاعر لقضايا سياسية، ونقد الشاعر للواقع الجمعي.

◁◁ استدعاء الشخصيات التراثية والحس القصصي الشعري:

يرى الباحث أن شاعرنا عندما يوظف شخصياته التاريخية والتراثية لا يقصد التواصل الضمني والفني

مع إيقاع الحياة المعاصرة فحسب، بل هو في المقام الأول: يحاول مجاراة ما يقبع داخل نفسه من هواجس وآلام وصراعات، ويحاول خلالها التنفيس الانفعالي عن عواطف ضاغطة من التوتر والقلق بفعل الغربة، فكل شخصية يصادقها شاعرنا (مستدعيا/موظِّفا) تمثل قضيتها جانبا مما في حياته، ونفسه.

ويرى الباحث أن الحاجة الإبداعية قد تدفع الشاعر أيضا إلى أبعد من مجرد التستر وراء حجاب أو قناع متهربا من قهر بعض السلطات التي اعتادت قصف الأقلام، فالشاعر العربي المعاصر ربما احتاج من خلال استدعاء الشخصيات التراثية إلى تبني قضايا بعينها هي قضايا شخصياته المستدعاة، وقد تكون قضاياه هو، من وحي أزمته الخالصة في تنفس عن أزمته تلك تنفيسا لا إراديا، كذلك قد تعلن الشخصيات المستدعاة عن مواجهات صاحبها النفسية والفكرية والاجتماعية. ولعل صاحبها يستملح كثيرا أن يعبر عن نفسه من خلالها، وهي تشير أيضا إلى نوعية ثقافة صاحبها.

ويتناول البحث بعد ذلك مصادر الشخصيات التراثية في شعر حسين علي محمد، ووجوه التأزم في قضايا الشخصيات التي استدعاها والتقنيات الفنية في استخدام الشخصية التراثية، ثم المآخذ التي رآها الباحث على ظاهرة استدعاء الشخصيات التراثية عنده.

أما الحس القصصي في شعر حسين علي محمد فيقدم الباحث عنه قراءة في المحتوى والتقنيات، فيتناول الأنساق المضمونية لتجارب الحس القصصي من خلال قصيدة (عصفوران) المنشورة بديوان «حدائق الصوت»: حيث يصنع النسق القصصي مقاربة ذكية، مركزة بين قصة العصفورين المتحاربين / المنهارين وبين أزمة الإنسان المعاصر في افتقاد القيمة مدفوعا بالضغوط الحياتية.

وقد استعان شاعرنا بتقنيات الحس القصصي في شعره من فني القصة والمسرح وأعانه ذلك على بث حس قصصي دينامي في قصائده تشكل من مخزونه الانفعالي بالحدث/القضية الفكرية التي يتبناها ذاتيا/جمعيا، واستعان بالسرد والحوار واللغة، والشخصيات /و الراوي والصراع الدرامي ليقدم نصّه الجديد.

الدراسة الفنية:

والباب الثاني من الدراسة يتضمن الدراسة الفنية لشعر حسين علي محمد من خلال فصول ثلاثة، يتحدث الفصل الأول: عن الموسيقى في شعر حسين علي محمد، وكانت رؤية الباحث تتمثل في البحث عن القيم الفنية الجمالية والفكرية عبر أطر عدة:

الأول: دراسة موسيقاه الظاهرة عبر شعره التفعيلي/العمودي، واضعا في الاعتبار الاعتماد المنهجي على أوزان الخليل.

الثاني:: الوقوف عند أهم مثيرات الإيقاع الداخلي لفظا ومعنى وأكثرها شيوعا.

الثالث: الموسيقى الشعرية وقد ارتبطت ارتباطا تلقائيا وثيقا بفكره ومضمونه، ونلتمس ضربا من ضروب تلك العلاقة الجدلية بين البحر وقوافيه / والمضمون من وجهته الدلالية، وذلك لرسم رؤية نقاشية جدلية قد تربط بينهما.

واللغة والتركيب عند شاعرنا لغة معاصرة تميزت بإطارها التصويري. فكانت أداة منطقية لمزج المركبات الحسية بالمشاعر والانفعالات على المستوى المعنوي المجرد، وقد تتميز بالحزن أحيانا.

أما الصورة الفنية فيقسمها الباحث إلى ثلاثة أنماط موضوعية، وهي:

- الصورة الدرامية.
- الصورة الذهنية / التجريدية
- الصورة الحسية.

وعن الصورة الشعرية الفنية ذات الحس الدرامي يرى الباحث أنها هي النمط التصويري الأكثر شيوعا / قيمة / تأثيرا، لأنها كما يرى تتناسب موضوعيا وطاقات البوح تلك التي شكلت معظم الرؤى الموضوعية شديدة الذاتية لدى شاعرنا. فهو يملك قدرة فنية موضوعية لافتة دأب من خلالها على الصراخ والبوح الذاتي، لذلك كان ميله المنطقي للأبنية الدرامية ذات الحس الدرامي بما فيها من طاقات تصويرية مبدعة تستوعب فنيا كل أنماط التأزم التي قد تحتاجها.

وقد تأثرت بالأدوار البلاغية لفنون التشبيه / الاستعارة / الكناية / وكذلك البناء النامي، وطاقات السرد التصويري البلاغي.

ومصادر الصورة الفنية عند حسين علي محمد هي:

- مصادر حسية، وهي حية ومتحركة وحسية ثابتة.
- مصادر معنوية / موروثات فكرية، وهي الموروث الديني، والموروث الاجتماعي، والموروث الشعبي، والموروث الثقافي.

كما تلعب وظائف الصورة الفنية عنده أدواراً وجدانية وجمالية لتدعيم الرسالة النصية في ذهن المتلقي، وأدواراً للتقريب والتوضيح لتحقيق مصداقية البوح الذاتي، كما أن لها وظيفة نفعية للقيمة الدينية الوعظية.

ولا شك في أن هذا التنوع الكيفي لأنماط الصورة عند حسين علي محمد قد أعطى فرصة فنية قيمة لتنوع مصادر الصورة الفنية ووظائفها.

نال الباحث السيد مختار جاب الله الحسيني القهوجي درجة الماجستير بدرجة امتياز عن رسالته التي قدمها إلى قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة المنصورة تحت إشراف الدكتور عبد الحميد عبد العظيم القط أستاذ الأدب والنقد بكلية التربية، ود. مختار عطية عبد العزيز أستاذ الدراسات البلاغية المساعد بكلية الآداب. واشترك في المناقشة د. حلمي بدير أبو الحاج الأستاذ المتفرغ بآداب المنصورة، ود. محمد مصطفى أبو شوارب رئيس قسم اللغة العربية بكلية التربية جامعة الإسكندرية ■

تأمل..!

أخلاقها العلياء تمنحني الأمانا ... جعلت فؤادي يعشق الإنسانا

جمعت إلى حسن البيان مشاعرا ... وزهت على أترابها إيمانا

سبحان خالقها.. سبحان مبدعها ... سبحان من خلق الجمال وزانا

بدر عمر المطيري - السعودية